اسرائيل، ولا بالمقاييس العسكرية، حيث موازين القوى مختلّة تماماً لصالح جبهة الاعداء. وقد تطلب الامر وقتاً طويلاً نسبياً (خمس سنوات تقريباً) حتى تخطّت الثورة هذا المفهوم الاستراتيجي للدولة، وخطت على طريق تكريس مزيد من الواقعية الثورية في وعيها وسلوكها، وبالذات في كيفية تناولها قضية الدولة.

ان انتقال الخطاب السياسي الفلسطيني الى معالجة مغايرة لمسألة الدولة على قاعدة المرحلية، كانت مناسبته عقد الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، في حزيران (يونيو) ١٩٧٤، التي تمّ فيها اقرار «البرنامج الوطني المرحلي لـ م.ت.ف.»[١٢]، برنامج العودة وتقرير المصير وانتزاع الاستقلال الوطني. ومع ان اقرار البرنامج (الذي سيطور صيغته من الحديث عن السلطة الوطنية الى الحديث عن الدولة المستقلة) لم يحصل بموافقة اجماعية، الاّ بعد خمس سنوات، خلال الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني (١٩٧٩). الاّ ان مجرّد تداول خيار المرحلية من طرف قوى سياسية فلسطينية وازنة، يعكس درجة التحوّل، في الخطاب السياسي الفلسطيني، نحو التعاطي الواقعي مع متغيرات الوضع الاقليمي، والدولي، في وقت كانت تتضافر، على نحو معاكس، عوامل عدة لترشيح خطاب الرفض الاستراتيجي لمزيد من التشدد المبدئي في وجه المرحلية في العمل الوطني الفلسطيني.

ثمّة عوامل عديدة كانت وراء هذا الانعطاف الكبير[١٣] في الحركة الوطنية الفلسطينية، وفي خطابها السياسي، الذي انتقلت فيه من تصريف الاستراتيجيا الى تصريف التكتيك. ويقف في مقدم تلك العوامل:

- تزايد الاقتناع والوعي، فلسطينياً، بأن المعركة ضد الصهيونية معركة من طبيعة استراتيجية، لا يمكن كسبها الاّ من خلال تحصيل، ومراكمة، انتصارات جزئية قبل الحاق الهزيمة الكاملة بالعدو، هذه التي تفترض حشداً استراتيجياً شاملاً للموارد والطاقات العربية، وتعديلاً جذرياً في ميزان القوى الدولي، والاقليمي، بما يضعف من الجبهة المعادية، ويضعها في موقع الدفاع. ولمّا كان ذلك يتطلب فعلاً طويل النَفَس، وتعبئة شاملة للقوى، فان تحقيق المكاسب المرحلية يصبح آلية في هذه العملية الاستراتيجية، وعنصراً من العناصر المفضية الى توفر شروطها.

- الانتصار الجزئي في حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، الذي فتح ملف الارض المحتلة، وشكّل عنصر ضغط جديد على اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية لدفعهما الى التسليم بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وفي مقدّمها حقه في تقرير المصير والاستقلال الوطني. وهو الانتصار الذي ينبغي تتويجه ببرنامج سياسي واقعي يراعي حدود الدور العربي في ظرفيته السياسية تلك، وسقف مطالبه، وما هو متاح للحركة الوطنية الفلسطينية في الشروط القائمة آنئذٍ، الامر الذي عنى ضرورة تطوير تلك النتائج التي أسفرت عنها الحرب، وحمايتها من التبديد والمساومة.ببرنامج وطني يخرج الصراع العربي ـ الصهيوني من التعريف الذي تراد له السيادة كصراع حدودي بين اسرائيل والدول العربية، الى تعريف صحيح له كصراع جوهره القضية الفلسطينية والحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني.

- القبول المتزايد للرأي العام الدولي بحل سياسي للصراع العربي ـ الصهيوني يقود الى قيام كيان وطني فلسطيني مستقل على الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧.

ولم تتوقف ادبيات الثورة عن تأكيد الطبيعة التكتيكية المرحلية لهذا البرنامج، برنامج الدولة الفلسطينية المستقلة، وعلى التشبث المبدئي بالحل الاستراتيجي حينما تتوافر له الشروط، ونعني به التحرير الكامل وبناء الدولة الديمقراطية العلمانية. غير ان المعطى السياسي الذي استجد على